رؤية الرحالة للزراعة في الإمارات

من خلال كتابات الرحالة والمستشرقين الغربيين

د. علي عفيفي علي غازي
باحث متخصص بالتراث العربي
afifyhistory@hotmail.com

يسكن العرب شواطئ الخليج العربي منذ عصور ما قبل التاريخ، وفي التاريخ الحديث بالرغم من أن الفرس والعثمانيين كانوا القوتين السياسيتين البارزتين في المنطقة منذ القرن السادس عش الميلادي. إلا أن الأغلبية العربية قد سادت على الصعيد الاجتماعي، ووجدت أقليات من الهندوس واليهود في الموانئ الكبرى؛ لعبوا أدوارًا مهمة في الحياة التجارية للخليج. وبرز عرب الهولة والعتوب على امتداد المنطقة، وفق ما يذكر الرحالة الدنمركي كارستن نيبور (1733-1850Carsten Niebuhr). وكان مصدر العيش للعرب هو الزراعة والرعي. أما النشاط الاقتصادي المهم الأخر فهو صيد الأسماك، والذي يوفر الأسماك طازجة ومُجففة كطعام للإنسان والحيوان. ويحظى الغوص على اللؤلؤ في هيرات الخليج بأعظم أهمية اقتصادية، واهتم به الرحالة الغربيون؛ فوصفوا أدق تفاصيل عملية الغوص، وتنظيم اللؤلؤ وتسويقه، كما يحظى جانبان آخران من الجوانب الاقتصادية العربية باهتمام الرحالة الأوروبيين، وهما تربية الخيول العربية الأصيلة، والصيد بالصقور. هذه هي الصورة الاقتصادية للمنطقة، والتي تغيرت بعد اكتشاف النفط، وإنتاجه بكميات اقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية. ونتيجة لذلك هجر سكان المنطقة البحر، واتجهوا إلى العمل في المؤسسات الحكومية، وفي التجارة مع العالم الخارجي. (1)

تركزت الزراعة عند الإماراتيين في نخيل التمر، وأوجدت تجارة التمور أعمالا للبحارة، والقائمين بالجني والتجفيف والتعبئة. وزراعة نخيل التمر قديمة، حيث تعود إلى أكثر من عشرة آلاف سنة، وتعد منطقة الخليج العربي الموطن الأصلي لزراعة النخيل في العالم، وانتشرت منها زراعته إلى جميع المناطق ذات الجو الملائم بواسطة الملاحين القدامى من سكان الجزيرة العربية. (2) وتحظى تربية الإبل بأهمية كبيرة لدى البدو والمزارعين، إذ تُستخدم في الزراعة كاستخراج الماء من الآبار، كما أن لحمها من أهم مصادر اللحوم اللازمة لتغديتهم، فهم يستخرجون الماء للزراعة بواسطة دلاء من الجلد مشدودة بحبال قد ربطت أطرافها بأعناق الإبل، فإذا ملئت الدلاء بالماء وشعرت الإبل بامتلائها نزلت إلى منحدر بجانب البئر، وعندئذ كون الدلاء قد ارتفعت إل علو وأفرغت ما بها من الماء

في حوض ذو فتحات متصلة بالأرض المراد ريها، ويسمون طريقة الري هذه «التني». (3)

ونظرًا لقلة الامطار الساقطة، وعدم كفايتها لري البساتين والحدائق، فإن الزراعة في الإمارات العربية المتحدة تعمد على ينابيع المياه العذبة. وقد أبدى الفلاليح وملاك الأراضي اهتمامًا خاصًا بطرق حفر الآبار الإرتوازية، ومواتير الضخ؛ ليستعيضوا بها عن السواني (السواقي). وتعتبر الزراعة بالإمارات كهواية من قبل الأثرياء، أكثر مما هى من حرفة. (4) والزراعة في الإمارات تعتمد على المطر فإذا لم يسقط مطر كاف حُرموا الزرع، وقل الكلأ، واشتد الكرب، ارتحلوا، وإذا هطلت الأمطار غزيرة وسالت الأودية زرعوا. وهم يُفلحون الأرض بمحاريث يحرثون بها على الإبل أو على الخيل أو الحمير، ويحصدون الزرع ويجمعونه في البيادر. ويُخزنون حبوبه في حفر في الأرض على هيئة الجرة، أي أنها تضيق عند فوهتها وتتسع كلما اتجهت إلى أسفل، ويسقفونها بجريد وسعف النخيل. (5)

ولقد كانت الزراعة نشاطًا اقتصاديًا بالغ الأهمية عند الإمارتيين، وكان معناها التمور، وقد عقب العديد من الرحالة الأوروبيين على زراعة النخيل وألقوا أضواء على أهمية التمر على امتداد المنطقة، فقدموا وصفًا ممتازًا لزراعة النخيل على الساحل العربي، وعقبوا على الطعم الممتاز، واللون الجميل اللذين يحظى بهما التمر بوصفه فاكهة رخيصة الثمن، ولاحظوا أن النخيل يحظى ببعض «التناسق مع الحيوانات الحية من حيث التكاثر»، إذ إن النخلة الأنثى لا تنتج ثمرًا إذا ما زرعت بمفردها، وإنه كنتيجة لذلك فإن النخيل المؤنث والمذكر يزرع معًا، وذكروا أنه عندما تكف نخلة أنثى عن حمل الثمرة، فإن المزارعين يضعون فيها قطعة من الجريد الأعلى في نخلة ذكر، ويقومون بتطعيم النخلة الأنثى بها، وعندئذ تبدأ في حمل الثمرة من جديد، وقد استخدم هذا الإجراء نفسه كذلك لزيادة إنتاج النخلات الأصغر سنًا، وإنتاج تمور أفضل طعمًا، وأشاروا إلى أنه عندما تغرس النخلة الذكر، والنخلة الأنثى على مسافة معينة، فإن إحداهما تميل إلى الأخرى كأنما هناك تعاطف متبادل بينهما. (6) وقد اصطحب أحد المزارعين تشارلز داوتي Charles (1843-1926)Doughty إلى مزرعته، حيث رأى عربة بعجلات تُستخدم لنقل التربة والسماد. (7)

يقيم البدو معظم الوقت في الخيام، ويتركون أمر الزراعة للفلاحين، ويأتي

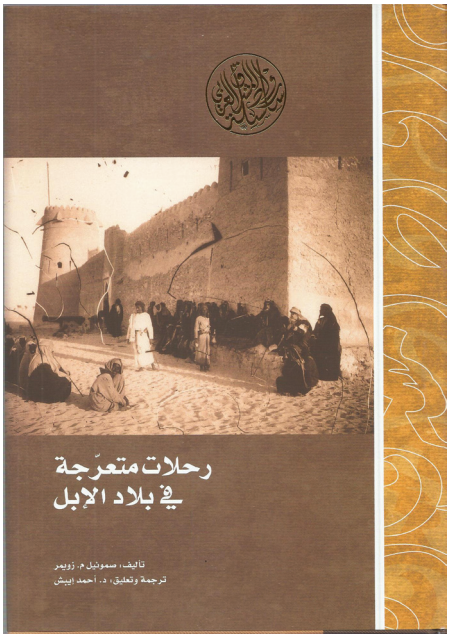

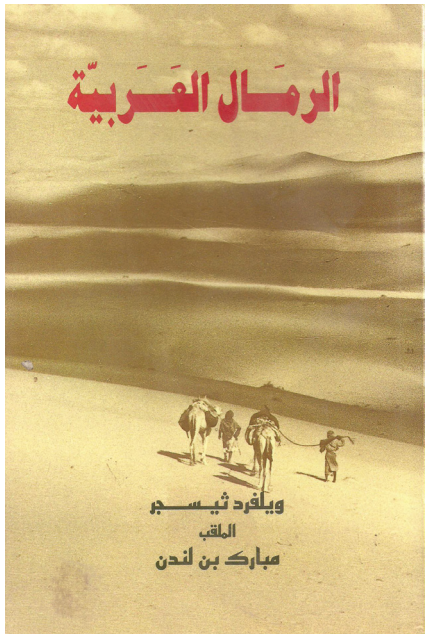

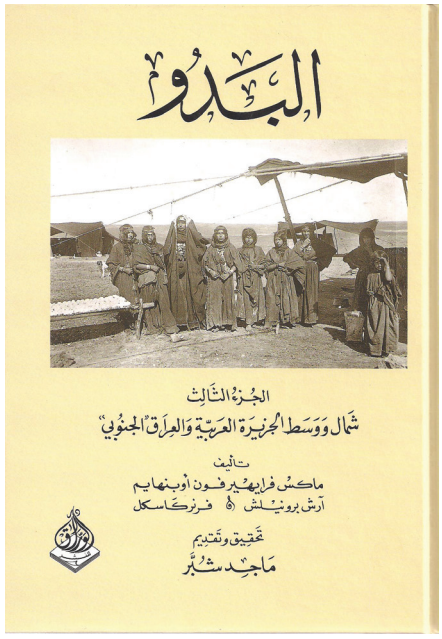

الشيوخ العرب في أوقات معينة من السنة لجمع حصصهم من المحصول. (8) وقد اضطرت القبائل المستقرة إلى دفع جزء من المحصول للبدو، نظير حمايتهم، أو نظير تركهم لحال سبيلهم. (9) ولما وجد البدو صعوبة في الحصول على الكفاية من الحبوب بطريقة المقايضة، صار قسم من كل قبيلة ينصرف إلى الزراعة، وحراثة قسم من أراضي العشيرة لمنفعة الباقين، على أن هؤلاء الفلاحين أو المزارعين يُعتبرون منحطين في نظر إخوانهم البدو المتجولين، الذين يستخفون بمثل هذه الأعمال الحقيرة، ويعتبرونها أمرًا معيبًا، (10) فالبدوي يزدري الزراعة والصناعة والتجارة، وغيرهما من الحرف، ويحسبها مما يحط من قدره، ويحتقر أهلها، ويتهمهم بالجبن والخنوع؛ ولهذا فإن اهتمامه بالزراعة كان محدودًا جدًا، (11) ولا يزالون حتى اليوم يحتقرون أهل الريف ويسمونهم «فلاليح» ومن أقوالهم «الذل بالحرث والمهانة بالبقر»، إلا أن البدو أخذوا يزرعون القمح في بواديهم معتمدين على المطر في ريها. (12)

تقتصر الزراعة في الإمارات العربية المتحدة على زراعة النخيل والقمح والشعير، وإلى درجة أقل على زراعة بعض أشجار الفاكهة الاستوائية. ويقوم المزارعون بحرق القش وسعف النخيل الجاف، ثم يدفن رمادها بالأرض لتغذية التربة، ولا يعرفون عربات النقل، وإنما يستخدمون الجمال والحمير في نقل أمتعتهم وأغراضهم. (13) والذين يقدم عهدهم بالزراعة كانوا يتحضرون، وتحضر منهم كثيرون فتدرجوا من سكنى الخيم إلى «الصرايف» المبنية من سعف النخيل وغيره، ومنها إلى بيوت الآجر والحجر. (14) وقد اعتبر الرحالة والمنصر الأمريكي صموئيل زويمر SamuelZwemer أن استقرار البدو لأجل امتهان الزراعة. وكذلك مزارع التمر الحديثة علامة على التقدم الحضاري. (15)

يقول الرحالة الألماني، عالم الاثنوغرافيا (علم الأجناس) لوثر شتاين lohar-stein "إن القسم الأكبر من قبائل شمر ما يزال حتى يومنا هذا بدوًا، إلا أن قليلا منهم استقر أخيرًا في القرى، وبدأ بزرع الغلة هناك، بعد أن استبدلوا بيوت الشعر بالأكواخ الطينية...، لقد كانت مهنة الفلاحة بالنسبة إليهم من الويلات، إذ فضلوا ترك هذا العمل إلى الفلاحين ذوي الأتاوات، الذين كان البدو يتطلعون إليهم بنظرة أقل شأنًا، وحسب اعتقادهم فإن تربية الجمال والخيول وصيد الصقور، وحملات الغزو على القبائل المعادية من الأعمال الجديرة بالنسبة للبدوي". (16)

يصف ويلفريد ثيسجر Wilfred Thesiger (1910- 2003) في كتابه الرمال العربية، والذي يتضمن وصف لرحلته المليئة بالمغامرات عبر صحراء الربع الخالي ما بين عامي 1947-1950، أهمية المياه لحياة البادية، يقول: "تتجمع سحابة ويتساقط المطر فيعيش الناس، وتتبدد الغيوم بلا مطر فيموت أناس وحيوانات، ففي صحاري الجزيرة العربية لا يوجد نظام للفصول، فلا صعود ولا هبوط في النسق، بل قُفار خالية، حيث تُشير الحرارة المتغيرة وحدها إلى مرور السنين، إنها أرض قاسية وجافة لا تعرف شيئًا عن اللطف أو الراحة، ومع ذلك عاش فيها أناس منذ أقدم العصور". (17)

وقامت النهضة الزراعية في العين، ومن ثم أبوظبي، والإمارات العربية المتحدة، على زراعة شجرة النخيل، تلك الشجرة التي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بتاريخ الإمارات،

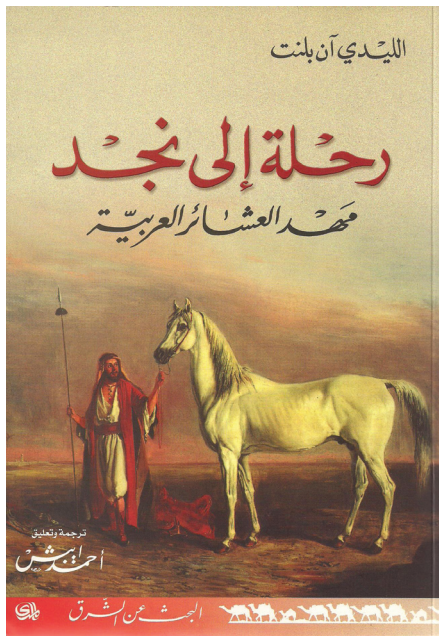

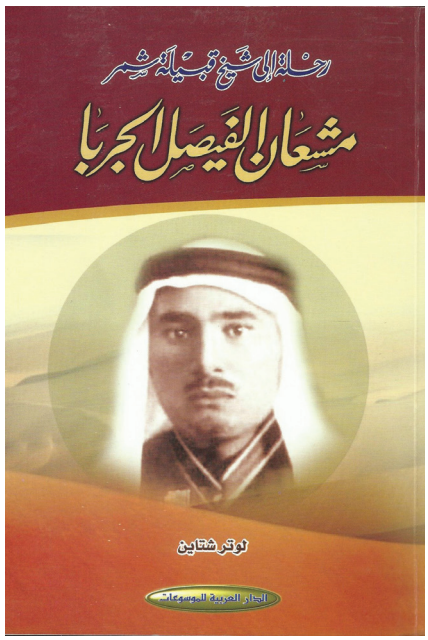

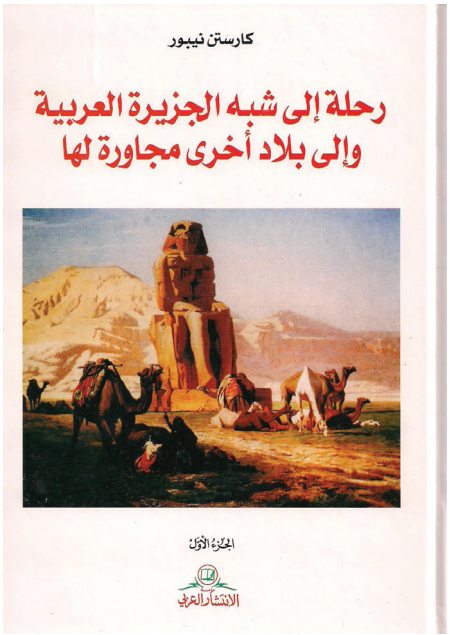

ومثلت بارتفاعها وشموخها فخر واعتزاز شعب الإمارات، إذ استفاد الإماراتيون من كل جزء من النخلة، من جذعها وسعفها ونواها، وتمرها، الذي شكل الغذاء الرئيس للسكان في منطقة أضنت عليها الطبيعة. وقد لقيت النخلة اهتمامًا كبيرًا من الشيخ زايد، ومن شعب الإمارات، آملين أن تتحول الإمارات إلى منطقة وارفة بظلال النخيل، وألا يكون فيها شبرًا إلا وتغطيه الخضرة. ولعل اهتمام الشيخ زايد يرحمه الله بالنخلة قد منح قوة دفع كبيرة للاهتمام بهذه الشجرة المباركة، ذات التاريخ العريق، فأصبحت تزرع في كل منزل وشارع ومزرعة؛ مما أدى إلى هذا التكاثر العجيب. كذلك شرع في إقامة مشروع تصنيف التمور، والذي يُشكل صرحًا صناعيًا يحافظ على الإنتاج الوفير للتمور. (18)

وكان تولي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، الحكم في واحة العين عام 1946، بداية التنمية الاقتصادية عامة، والزراعية خاصة، فعلى الرغم من حرصه على إحياء التراث والتقاليد، إلا أنه في نفس الوقت أدار عجلة التجديد والتطوير والمعاصرة، فقام بوضع خطة دقيقة لاستثمار إمكانيات الواحة، وحقق فيها ازدهارًا ملحوظًا، فلم تكن ندرة الماء والمال وقلة الإمكانيات حجر عثرة أمام إصلاحاته فيما يتعلق بتطوير واحة العين، وكانت أولى اهتماماته فيها تنمية الإمكانيات الزراعية بحفر الأفلاج، وهي قنوات مائية طبيعية، تنبع من الجبال وتستخدم للسقي والشرب، مما وفر المياه للجميع بلا مقابل، فضلا عن تسخيرها لسقي الأراضي الزراعية.

يعرف الإنسان الخليجي القديم، في سبيل إيصال الماء من مصدرها للمناطق البعيدة، التي لا يوجد بها عيون، نظام شامل للري متطور، بحفر قنوات ضخمة على سطح الأرض، مغطاة أو مكشوفة، أو بحفرها في باطن الأرض بشكل انحداري يسمح بجريان الماء من بئر رئيسة، تُسمى بأم الفلج، وتُعرف الفتحات التي تتصل بالقناة، باسم الثقبة أو الفرضة، أما أول مكان خروج الماء إلى سطح الأرض فهو الشريعة. وذلك بهدف تجميع المياه الجوفية أو مياه العيون والينابيع الطبيعية أو المياه السطحية، أو السيول بحيث تنتقل المياه المتجمعة من مواردها في الفلج دون استعمال الآلات لرفعها.

وتُعرف هذه الطريقة لتوزيع الماء في البحرين باسم «الفقب» أي الثقب. وفي سلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة باسم الأفلاج، ومفردها «فلج». والتي تعني لغويًا «شق في الأرض»، والجدول المائي الصغير، والقناة التي تروي الأرض. وقيل هو الماء الجاري، والجمع فلاليج وأفلاج. (19) والكلمة مُستمدة من جذور سامية قديمة، تعني «تقسيم»، ويُمكن إطلاق الكلمة على نظام تقسيم المياه بين المساهمين، إذ إنه عبارة عن تنظيم مُعين لتوزيع المياه بين من لهم حقوق فيها.

يُرجع بعض الباحثين الآثاريين والمؤرخين منشأ نظام الأفلاج إلى مصر الفرعونية، إذ مارس المصري القديم الزراعة المروية، وفي حوالي عام 3000 قبل الميلاد شق القنوات؛ لنقل الماء إلى الأراضي المرتفعة في موسم الفيضان. (20) وتذكر المصادر التاريخية أن «نينوى»، وهي من أقدم حضارات العراق القديم، كانت تحصل على الماء بواسطة نظام القنوات، وقد نصت شريعة الملك البابلي حمورابي (1810- 1750 ق. م.) على صيانة الماء وأقنية الري وتنظيفها سنويًا، واعتبرت

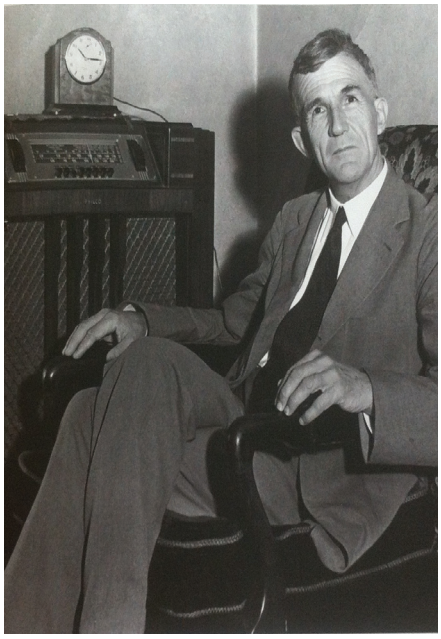

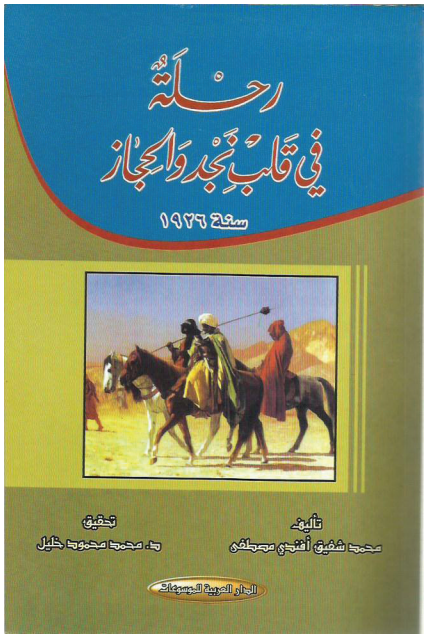

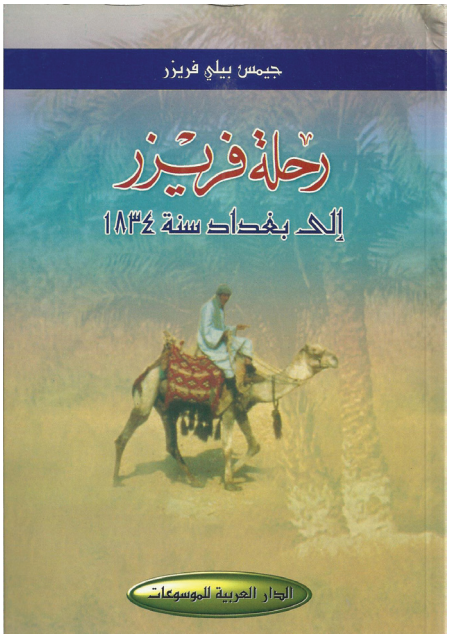

صموئيل زويمر

الاعتداء عليها جُرمًا يُعاقب عليه. (21) وقد تمخضت الدراسات والأبحاث عن الكثير من المكتشفات الأثرية، التي تؤكد معرفة مجتمعات شرقي الجزيرة العربية لنظم الري منذ عام 2500 قبل الميلاد. وقد اشتهرت إمارات ساحل عمان المتصالح بانتشار الأفلاج في: العين والفجيرة ورأس الخيمة. وخاصة منطقة "هيلي" بمدينة العين، التي تُعدّ من أهم المواقع التاريخية المشهورة بالأفلاج. (22)

تتعدد أنواع الأفلاج، ومنها: الفلج الداؤودي الذي يُنسب إلى النبي داود، عليه السلام، إذ ينقل ولكنسون أسطورة تقول إن النبي سليمان بن داود، عليه السلام، في رحلته اليومية على بساط الريح إلى بيت المقدس، وفي طريقه إلى عُمان رأى قلعة «سلوت»، فأمر الجن أن تبحث الموضوع، وأخبره رسوله الهُدهد، أحد الطيور، أن القلعة غير مسكونة، فدخل النبي سليمان عُمان، وظل بها عشرة أيام، كان يأمر الجن المُسخرة له أن تبني ألف فلج في كل يوم من أيام إقامته، ومن يومها أصبح في عمان عشرة آلاف فلج، يُعرف بالداؤودي، (23) وهو ذلك الفلج الذي يستمد مياهه من عمق بعيد عن سطح الأرض. أما الفلج الغيلي، فإنه يستمد مياهه من غيول السيول والأودية، أو من ينبوع أو عين طبيعية، أو مجموعة عيون تتدفق منها المياه وتنساب على سطح الأرض مخالفًا بذلك الأنواع الأخرى، التي تعتمد على المياه الجوفية، وتعني كلمة غيل في الاستخدام المحلي الماء على السطح الحصوي للوادي. (24)

يلفت نظام الري بالأفلاج جُلّ رحالتنا الذين زاروا الجزيرة العربية والخليج، وبالتالي من الصعوبة الإحاطة بكل ما ذكروه في هذا المقال، ولهذا سوف نستعرض في اقتضاب إشارات سريعة. بداية يذكر الضابط البحري البريطاني جيمس ريموند ولستد James R. Welsted ، الذي قام برحلاته في شبه الجزيرة العربية والعراق (1830-1835) أنه "توجد في عمان بعض الأودية الجافة التي تجري تحت الأرض، وهي ذات قيمة كبيرة في هذه المناطق، كما توجد بعض الخيران الصغيرة التي يتضاءل حجم بعضها كثيرًا في مواسم الجفاف". ويُشير إلى قيام العمانيون بسحب "المياه من الآبار العميقة بأسلوب فريد، حيث يثبتون خشبتين في منتصف قطر فوهة البئر...، وحين يمتلئ الإناء يُسحب ويُسكب في مستودع صغير ليتمّ توزيعه عبر جداول مستحدثة على وجه الأرض... ثم يُجرى توزيعه... بالنجوم التي يعرفون المواقيت الثابتة لخروج بعضها وغيابه". وفي واحة مأدبة أدهشته جداول المياه تنساب من جميع الاتجاهات، وتجلب الراحة للنفس. (25)

يصف الرحالة الإيطالي كارلو جوارماني Carlo Guarmani، الذي ارتحل في شمال ووسط الجزيرة العربية في عام 1851، واحة تيماء بأنها عبارة عن "متاهة من الشوارع الصغيرة التي تظللها أشجار النخيل، وأشجار الكروم التي تتدلى فوق هذه الشوارع، كما تظل هذه الشوارع أيضًا أفرع أشجار التين البارزة، وأشجار الخوخ والرمان التي جرى جلبها من دمشق قبل سنوات قليلة، وثبت نجاحها. هذه الأشجار يجرى ريها في قنوات، الكثير منها يُصنع من جذوع النخيل، تحمل الماء إلى المزارع من بئر عامة، في حال عدم وجود أبيار، أو من أبيار أخرى قريبة، غالبًا ما تكون ملكًا لصاحب البيارة". (26)

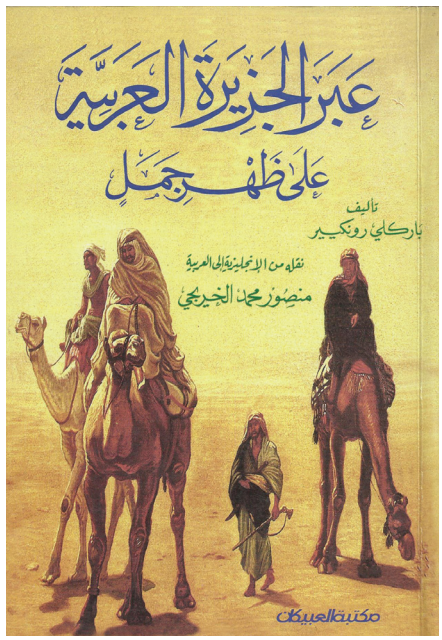

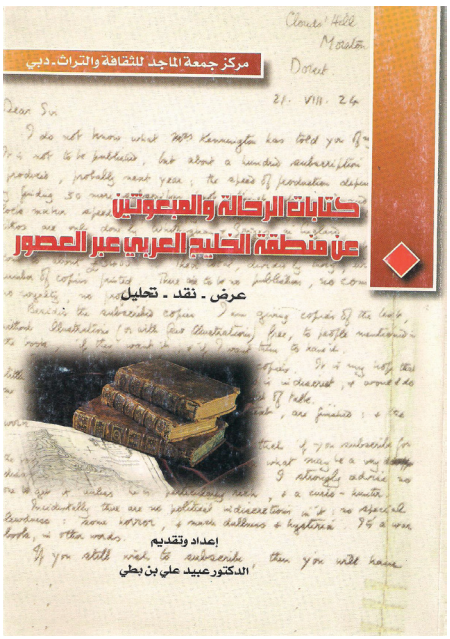

كارستن نيبور

يُشير الرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف، William Gifford Palgrave (1826-1888)، والذي قام برحلته في شرق ووسط الجزيرة العربية (1862-1863) إلى أن الري في واحة الجوف "يعتمد على القنوات الجارية التي تحمل الماء العذب الصافي... وما أجمل تلك المناظر لو تذكرنا الصحراء القاحلة". (27) يرى الرحالة والسياسي البريطاني صموئيل مايلز Samuel Miles، الذي استطاع أن يتجول في سلطنة عُمان بين عامي (1874-1885)، أن القناة أو فلج المطارد هو أحد علامات الرخاء السابق في صحار، حيث كان هذا الفلج يمد المدينة بالمياه في العصور القديمة. وفي وصفه للفلج يقول "إنه عبارة عن بناء صخري جيد يصله بسطح الأرض وادي الجزى القريب من حورا برجه، أو هضبة صحار كما نُسميها، إلى الشاطئ بمسافة تبلغ من أربعة إلى خمسة عشر ميلًا، وآثاره ما زالت موجودة إلى الآن". وقد لاحظ مايلز مثل هذا لبناء بجوار جبل غرابة. (28)

يقوم الشاعر والرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي Charles Doughty-(1843 1926)، برحلته في الجزيرة العربية، ويقضي بها سنتين (1876-1877) متجولًا في صحرائها، ويُشير إلى الأفلاج في وادي الدواسر، بقوله: "وتقع الأفلاج، جمع فلج، وتعني الصدع في الجبل، في جبل طويق وسكانها من الدواسر". (29)

تقوم الرحالة البريطانية آن بلنت Ann (1837-1917) Blunt في شتاء عام 1878-1879 برحلة برفقة زوجها من دمشق إلى حائل، في شمال نجد، ومنطقة جبل شمر، وتكتب عن الأفلاج تقول: "أما الأرض فصارت أخشن من ذي قبل، وصارت الأفلاج أكبر والسفر أشق وأعسر، غير أن الأفراس والجمال تابعت طريقها بإقدام". وتروي قصة تدور أحداثها حول عاشقين شابين فرا من الجوف بنية الزواج، فلاحقهما ذووهما. ولما شكا بأنهما ملاحقان، وبُغية تجنب الفضيحة، اتفقا على أنهما بدلًا من أن يمضيا معًا، فضّلا أن يسيرا بخطين متوازيين يبعدا الواحد عن الآخر بمقدار مئة يارد، وعلى هذا النحو انطلقا في رحلتهما. فلما وصلا إلى أحد الأفلاج...، نال منهما التعب كل مبلغ، فانطرحا كل منهما تحت شجيرة ليُلاقي حتفه. وعلى هذه الشاكلة عثر عليهما، ولكن لحسن الحظ قبل فوات الأوان، وسر اختيارهما ذويهما على الجانبين، فصدرت الموافقة على زواجهما، وتمّ الاحتفال بعرس بهيج للغاية". وتذكر أنها خيمت إحدى الليالي في صحراء النفود بين المراعي، "على طرف أحد الأفلاج التي اعتدنا عليها خلال طريقنا من الجوف...، ولا تُعدّ هذه الأفلاج ذات شأن بالمقارنة مع ما شهدناه إلى جهة الغرب". (30)

يُشاهد المستشرق الألماني يوليوس أوتينج Julius Euting الذي قام برحلته إلى شمال شرق الجزيرة العربية (1883-1884) في واحة تيماء "توزيع الماء بين ملاك البساتين... عبر قناة تتفرع منها جداول صغيرة لكل منها صمام يُمكن من خلاله حبس الماء، ومن المعتاد أن كل من له نصيب في تلك الجداول يقوم بجلب جمل للعمل في إخراج غروب الماء من أعماق البئر، كما يحرص بنفسه على صحة عملية توزيع الماء خلال تلك الجداول... التي تمتد عبر الشوارع". ويذكر أنه توجد بقرية كاف "قنوات أخرى لتصريف المياه الفائضة يُمكن أن يستفيد منها صغار

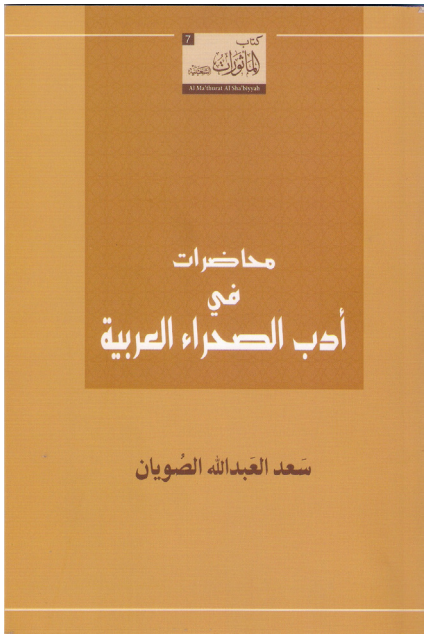

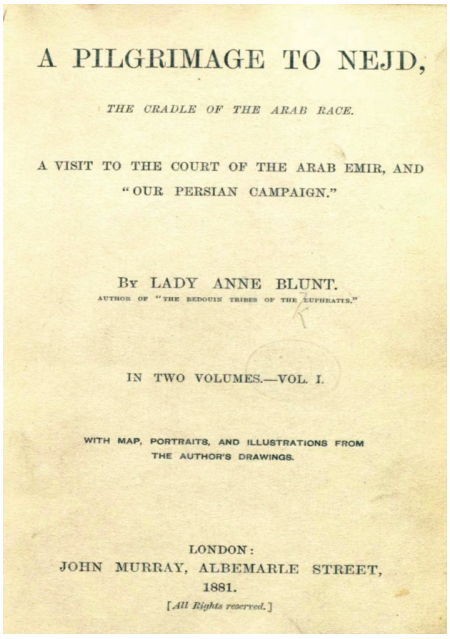
A PILGRIMAGE TO NEJD,

THE CRADLE OF THE ARAB RACE.

A VISIT TO THE COURT OF THE ARAB EMIR, AND "OUR PERSIAN CAMPAIGN."

By LADY ANNE BLUNT.

AUTHOR OF "THE BEDOUIN TRIBES OF THE EUPHRATES."

IN TWO VOLUMES.—VOL. I.

WITH MAP, PORTRAITS, AND ILLUSTRATIONS FROM THE AUTHOR'S DRAWINGS.

LONDON:
JOHN MURRAY, ALBEMARLE STREET,
1881.
[All Rights reserved.]

ماكس فون أوبنهايم

الملاك". (31)

يكتب الرحالة الألماني ماكس فون أوبنهايم Max von Oppenheim (1860-1946)، الذي قام برحلته من البحر المتوسط إلى الخليج بين عامي 1892-1894، عن الينابيع والأفلاج والنخيل في شمال ووسط الجزيرة العربية، يقول: "تقع إلى الجنوب من الخرج واحات الأفلاج، وتوجد هنا ينابيع مشابهة لتلك التي توجد في الخرج، وكانت تغذي سابقًا نظام أقنية واسعة، لا يجري فيها الآن سوى سيح (مسيل) واحد أخذت منه الواحة اسمها...، وتغذي الينابيع الواحتين القديمتين في شرق الجزيرة، والتي تُشكّل مدينة الهفوف ومرفأ القطيف مركزها، وتشكل زراعة أشجار النخيل المرتبة الأولى في اقتصاد الواحات، ولكن، من الممكن، أن تتمّ زراعة الحبوب أيضًا بالاعتماد على الري أو في الأراضي التي تسقيها الأمطار أو السيول". (32) وفي موضع آخر يُشير إلى أن «العديد من هذه الينابيع متصل مع قرية بقنوات تحت الأرض مزودة بفتحات كبيرة للتهوية، تُسمى كهريز». (33)

يرتحل الرحالة الشاعر ثيودور بنت Theodore Bent وزوجته مابل، في اليمن وعمان قادمين من الحبشة في عام 1893، ويُشاهدا "الجداول تنساب مياهها فوق ما يُشبه جدارًا ضخمًا مُذهلًا، فتشكل شلالات خفيفة القوام، وتتدلى منها المقرنصات الحجرية، بشكل مشوش، وفي الوسط يُصبح عمقها 55 قدمًا، وأكبر طول لها حوالي الميل، وهي عبارة عن ظاهرة طبيعية رائعة". (34)

يبذل المبشر الأمريكي صموئيل زويمر (1867-1952 Zwemer Samuel)، عضو الإرسالية التبشيرية، منذ عام 1892 عدة محاولات لزيارة الإمارات العربية المتحدة، التي لم تغب عن ذهنه، ولكن من دون فائدة، إلا أن رغبته تحققت أخيرًا في مايو من عام 1900، حيث وصل الشارقة في 14 منه بعد أن مر في طريقه بجزيرة أبو موسى، ومنها إلى دبي، ووصف الطريق الذي سلكه بقوله: "على الرغم من أنه محفوف بالمخاطر والصعاب إلا أنه طريق جميل، وعلى هذا الساحل ينمو العديد من الفواكه مثل المانجو والنخيل، ويستخدم الأهالي للري طريقة تُسمى "أفلاج" جمع فلج، وهي تعمل عن طريق تحويل لمجرى الغدير ليصب في قنوات تروي المزروعات". (35)

يُشاهد، في الرياض، الدبلوماسي الدنماركي باركلي رونكيير Barkley Ronquier، الذي قام برحلته الأولى والأخيرة للجزيرة العربية في العام 1912، "الماء ينساب جداول رقراقة من جيوبها العديدة عبر قنوات تأخذه لسقي النباتات العطشى دائمًا". (36)

يخترق الرحالة البريطاني جون فيلبي (1885-1960 John Phillby)، شبه الجزيرة العربية بين سنتي 1917-1918، فقد كتب عن وسائل الري المتبعة في الأفلاج، واستخدام الكهاريز (الدبل) وهي مجاري مائية جوفية اصطناعية؛ بل أشار إلى احتمال وجود مجرى مائي قديم كان يأتي من خط تقسيم المياه في الأفلاج. (37)

المصادر :

(1) عبد المالك خلف التّميمي: التبشير في منطقة الخليج العربي، دراسة في التاريخ الاجتماعي والسّياسي، (أبو ظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000)، ص 38.

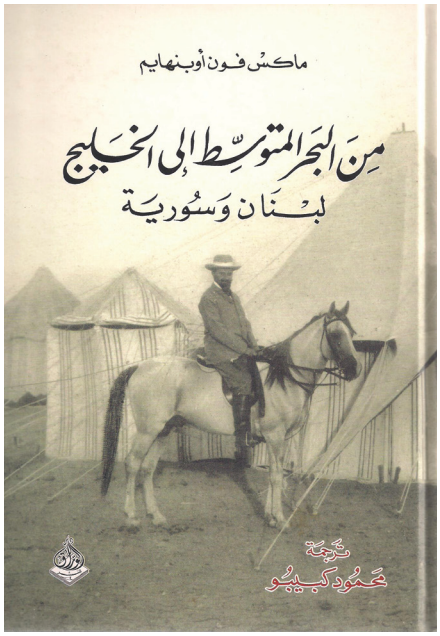

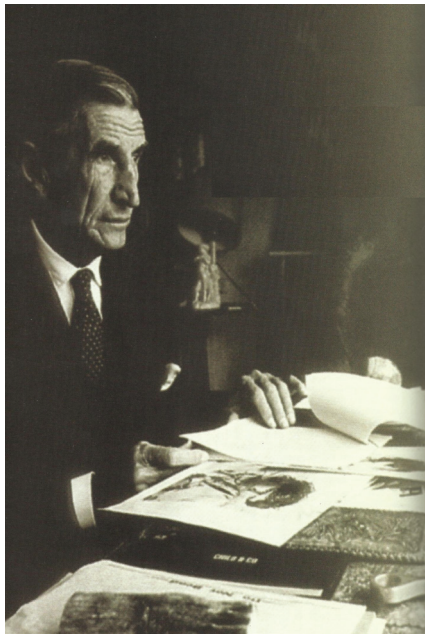

ويلفريد ثيسجر

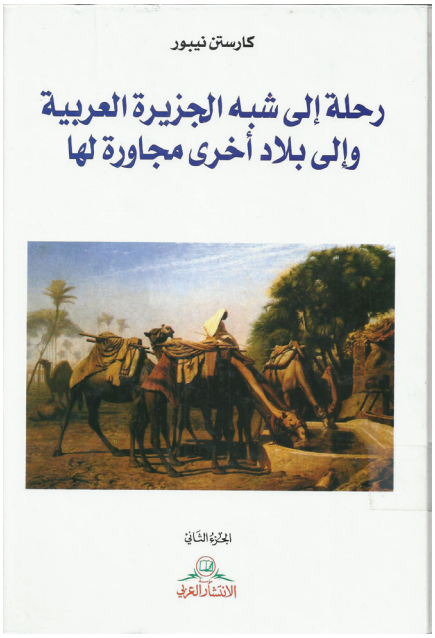

(2) عاطف محمد إبراهيم؛ محمد نظيف حجاج خليف: نخلة التمر... زراعتها، رعايتها وإنتاجها في الوطن العربي، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 1993)، ص11، 12.

(3) محمد شفيق أفندي مصطفى: رحلة في قلب نجد والحجاز سنة 1926، محمد محمود خليل (تحقيق)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010)، ص 47.

(4) جيسمان ر. أ.: "من العقير إلى خرائب سلوى"، مجلة الوثيقة، العدد السابع، السنة الرابعة، (يونيو 1985)، ص 72.

(5) رفعت الجوهري: شريعة الصحراء عادات وتقاليد، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،1961)، ص43.

(6) محمد رزوق: «الآثار الاجتماعية والاقتصادية للوجود البرتغالي في منطقة الخليج (الربع الأول من القرن السادس عشر نموذجًا)»، في كتاب عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996)، ص 165.

(7) سعد العبد الله الصويان: محاضرات في أدب الصحراء العربية، (الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2013)، ص 134.

(8) كارستن نيبور: رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، الجزء الثاني، عبير المنذر (ترجمة)، (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2007)، ص 205،206.

(9) آن بلنت: الحج إلى نجد مهد العرق العربي، صبري محمد حسن (ترجمة)، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2007)، ص 114.

(10) جيمس بيلي فريزر: رحلة فريزر إلى بغداد سنة 1834، جعفر الخياط (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006)، ص 209.

(11) فيليب حتى (وآخرون): تاريخ العرب، (بيروت: دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، 1986)، ص 51.

(12) ماكس فرايهير فون أوبنهايم: البدو، الجزء الثالث: شمال وسط الجزيرة العربية والعراق الجنوبي، محمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2007)، ص 393.

(13) باركلي رونكيير: عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل، منصور محمد الخريجي (ترجمة)، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1999)، ص 208.

(14) مكي الجميل: البدو والقبائل الرحالة في العراق، (بيروت: دار الرافدين للطباعة و النشر والتوزيع، 2005)، ص 103

(15) Samuel M. Zwemer: «Three Journeys in Northern Oman», The Geographical Journal, Vol. XIX, No. 1 (1902), p.p. 54-64.

(16) لوثر شتاين: رحلة إلى شيخ قبيلة شمر مشعان الفيصل الجربا سنة 1962، قسم الترجمة في المؤسسة (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2011)، ص 72، 73.

(17) ويلفريد ثيسجر: الرمال العربية، (أبو ظبي: موتيف ايت للنشر، 1992)، ص 12.

(18) علي عفيفي علي غازي: نخيل الخليج العربي في دليل لوريمر، (بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2015)، ص 55-57.

(19) ابن منظور: لسان العرب، عبد الله علي الكبير وآخرون (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، د. ت.)، ص 3456، 3457.

(20) حسين محمد حسين: «نظام الأفلاج والثقب أو قنوات الري تحت

الأرضية»، صحيفة الوسط، العدد 2631، (19 نوفمبر 2009م/ 2 ذي الحجة 1430ه).

(21) محمود الأمين: شريعة حمورابي، (بيروت: دار الوراق للنشر المحدودة، 2007)، ص 25، 26؛ مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق الأدنى القديم، أسامة سراس (ترجمة)، (دمشق: دار علاء الدين، 1993)، ص 103، 104.

(22) «يعود تاريخه إلى ما قبل الميلاد، والهيلي أهم مواقعه، الأفلاج.. نظام ذكي للري»، صحيفة البيان، (23 نوفمبر 2013).

(23) جي. رسي. ولكنسون: الأفلاج ووسائل الري في عمان، محمد أمين عبد الله (ترجمة)، (مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2003)، ص 68.

(24) «نظام الري في عُمان ما زال يعتمد على الأفلاج القديمة»، صحيفة الوسط، العدد 2002، (29 فبراير 2008م/ 21 صفر 1429هـ).

(25) جيمس ريموند ولستد: تاريخ عمان رحلة في شبه الجزيرة العربية، عبد العزيز عبد الغني إبراهيم (ترجمة)، (بيروت: دار الساقي،2002)، ص 180-182.

(26) كارلو جوارماني: شمال نجد، رحلة من القدس إلى عنيزة في القصيم في العام 1864، صبري محمد حسن (ترجمة)، (القاهرة: دار الهلال، 2010)، ص 210

(27) عوض البادي: الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية (منطقة الجوف ووادي السرحان) 1845-1922، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2002)، ص 74، 83.

(28) س. ب. مايلز: الخليج بلدانه وقبائله، محمد أمين عبد الله (ترجمة)، (مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، 1983)، ص 444.

(29) سعد العبد الله الصويان: محاضرات في أدب الصحراء، ص 114.

(30) ليدي آن بلنت: رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية، أحمد إيبش (ترجمة)، (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2005)، ص 194، 198، 328.

(31) يوليوس أوتينج: رحلة داخل الجزيرة العربية، سعيد بن فايز السعيد (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1999)، ص 156، 22.

(32) ماكس فرايهير فون أوبنهايم: البدو، الجزء الثالث، ص 19، 20.

(33) ماكس أوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج: لبنان وسوريا، محمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008)، ص 289.

(34) بيتر برنيث: بلاد العرب القاصية، رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب، خالد أسعد عيسى؛ أحمد غسان سبانو (ترجمة)، (بيروت: دار قتيبة للنشر والتوزيع، 1990)، ص 207.

(35) فاطمة حسن الصايغ: «الساحل المتصالح في كتابات المنصرين»، في كتاب عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور، (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996)، ص 308؛ نقلا عن:
Arabian Mission Correspondence, (No. 753, Box 2, (May 1900.

(36) باركلي رونكيير: عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل، منصور محمد الخريجي (ترجمة)، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1999)، ص 174.

(37) محمد فاتح عقيل: الجزيرة العربية في كتابات بعض الرحالة الغربيين، (الإسكندرية: مكتبة دار نشر الثقافة، 1962)، ص 26، 30.